النظرية المثاليـــة والقانونيـــة في العلاقات الدوليـــة

أ. محمّد حسن التائب ـ قسـم الدّراسات الدبلوماسية ـ مدرسة الدراسات الدولية والاستراتيجية ـ الأكاديميـــة الليبية للدّراسات العليا.

Financial and legal theory in international relations
Muhammad Hassan

Introduction

The ideal school, which we will modestly attempt to study and analyze here, appeared in international relations at an early stage as concepts based on ethics, ideals, and human nature. It appeared as school with its advocates and thinkers in the period after world war. It is based on the principle that says that man has an innate or natural tendency toward goodness, and therefore it preaches world peace, respect for the importance of world opinion, countries.

المقدمـــــة :

تُعد المدرسة المثاليـــة التي سنحاول على النّحو المتواضـــع دراستها وتحليلها هنا، قد ظهرت في العلاقات الدولية في مرحلة مبكرة كمفاهيم ترتكز على الأخلاقيات والمثل العليا والطبيعة الإنسانية، حيث ظهرت كمدرسة لها دعاتها ومفكروها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، إنها تنطلق من المبدأ القائل بميل الإنسان الفطري، أو الطبيعي نحو الخير، ولذلك فهي تبشر بالسلم العالمي، واحترام أهمية الرأي العالمي، ودور القانون الدولي العام في ضبط العلاقات بين الـــدّول (1) ، فقد كان ظهورها كصدمة الحرب وما أحدثته من دمار وخراب واسع والتي عبرت عنها الرؤية التفاؤلية للبعض وقائلة بإمكانية تسوية النزاعات السياسية (2) ، فكانت بصيص أمل للإنسانية جمعاء آنذاك كحل بديل لينتهجه صناع القرار كسلوك بديل وكان أبرز نجاحاتها وتجلياتها هي إنشاء وقيام عصبة الأمم المتحدة.

غير أن الواقـــع الدّولي فيما بين الحربين (الحرب العالمية الأولى والثانية) كان يسير عكس هذا الاتجاه الفكري، لاسيما بعـــد الغزو الياباني لمنشوريا عام 1931م ، واحتلال إيطاليا للحبشة عام 1935 م ، وظهور النازية والفاشية وطموحها للتوسّـــع، كل ذلك أسهم في تطـــوّر اتجاه فكري معاكس يحاول دراسة العلاقات الدولية على حقيقتها ،

أي: معرفة الواقع الدولي كما هو وليس بما يجب أن يكون، هذا الاتجاه هو الذي عرف باسم الواقعية السياسية (3)؛لذلك يركّز منهج المثاليين على ايجاد السبل الكفيلة بإنهاء الحروب ومنع تكراراها ، وذلك لن يتأتى إلا من خـــلال الدبلوماسية العلنية بدل السرية واستبدال سياسات توازن القوى بنظام الأمن الجماعـــي تسهر عليه وتدعمه المنظمات الدولية عبر تزويدها بالصلاحيات والامكانيات اللازمة للقيام بذلك بالشكل المطلوب.

إشكاليـــة البحث :

هل هـذه النّظرية حققت فعلا السّـلام العالمي ؟ وما هي مرتكزات هذه النظرية واهم مفكريها؟ وهل كان للحرب العالمية الأولى اثر في ظهور هذه النظرية؟

فرضيات البحث :

تدور فرضيات البحث حول الاجابة عن أسئلة اشكالية البحث، وتتمثل في الفرضيات الآتيـــة:

- إن النظريـــة المثالية أسهمت في تحقيق السلام العالمي؛ ولكنها لم تمنع من حصول الحرب العالمية الثانية.
- إن النظرية المثالية ارتكزت على الأخـــلاق كمعيار لتفسير العلاقات الدولية وانطلقت من مسلمة انسجام المصالح بين الدول.
- لم تعتبر الدّولة هي الفاعل الرئيسي في الساحة الدولية ؛ بل اضافة إليه المنظمات الدوليـــة.

أهـداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تبيين الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها هذه النظرية وكذلك يهدف إلى توضيح للقارئ والباحث مدى نجاح هذه المقاربة العلمية في تفسير العلاقات الدولية وفق المنطلق الأخلاقي.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في كونه يدرس أحد أهـــم النظريات المعيارية في العلاقات الدولية ويحاول تفسير ظهور هذه النظرية وتبيين للقارئ الأسس التي قامت عليها هذه النظرية

منهج البحث:

استخدمت المنهج الوصفي التحليلي لوصف المادة العلمية وتحليلها.

المبحث الأول ـ تنظير المدرســـة المثاليـــة:

لكي أتمكن من دراسة هذا المبحث قمت بتقسيمة إلى مطلبين درست في المطلب الأول المبادئ الأساسية في المدرسة المثالية، وفي المطلب الثاني أهم منّظري النّظرية

المطلب الأول ـ المبادئ الأساسية للمدرسة المثالية.

يعتبر دُعاة المدرسة المثالية أن وجود مصالح مشتركة ومتبادلة بين الدول يؤدّي إلى تضامن هذه الدول في إطار علاقات اعتماد متبادل مما يدفعها إلى وصف المجتمع بالتضامن وتصويره بمثابة وحدة اجتماعية ، ويرى أنصار هذه النظرية أن المجتمع الدّولي منظم أو يفترض فيه أن يكون منظما، وذلك بعد أن انتقل الإنسان إلى طـــور الاستقرار، وابتكاره لوسائل تؤمن له ممارسة حقوقه وحرياته وتبعده عن النزاعات والصراعات اليومية في اتجاه إقامة مجتمع مشترك ، وينطلق المثاليون من أولوية الأخلاق في العلاقات بين الأفراد سواء في المجتمع الدّاخلي أو بين دول المجتمع الدولي؛ إذ لا بد للفرد من وجـــوب الخضوع للقوانين والقواعد التي وضعت لخدمة الجماعة.

وانطلاقا من فكرة انسجام المصالح، فالفرد عندما يعمل لمصلحته الذاتية، فإنه يعمل المصلحة الجماعة، فهو يحمي مصلحته الخاصة، ونفس الشيء بالنسبة للعلاقات بين الدول، فمن منطلق تطابق المصالح، وعلى اعتبار أن كل الدول لها مصلحة في السلم، فان كل دولة تريد أن تعرقل السلم هي دولة غير عقلانية و غير أخلاقية، وهكذا فإن المنهج المثالي اعتمد على مقترب أخلاقي – قانوني ، يهدف إلى بناء عالم أفضل خال من النزاعات، مرتكزا على مسلمات فلســـفية تفاؤلية حول الطبيعة البشرية ودور المعرفة العقلانية وانسجام المصالح، وكذا إمكانية إقامة معايير قيمة مطلقة (4) .

وقد كان تياران يدافعان على فكرة النظام ؛ لكن بطرق مختلفة وهما:

ـ **التيار المساند لفكرة سيادة الدول** : ويُعتبر بأنّ المجتمع الدّولـــي هو مجتمع دول مستقلة ذات سيادة متطابقة مع سيادة الدول الأخرى ، وهذا لا ينفي أن المجتمع الدولي مجتمع منظم ؛ لأن الدّول فيه تخضع للقانون الدّولي.

ـ **التّيار المعارض لفكرة الســـيادة** : والذي يؤكد على أن المجتمع الدّولي هو مجتمع الأمم وتجمعاتها، وليس مجتمع دول.

إلا أن فكرة السيادة من وجهة نظـــري تبقى خاطئة من النّاحية العلمية وخطيرة بالنسبة لآثارها السياسية، فالسيادة الوحيدة المقبولة حسب هـــي سيادة القانون، ورغم هذه الاختلافات إلا أن هـــؤلاء الفقهاء يجمعون على أن المجتمع الدولي منظم ويتوفّر على قواعد وآليات تضمن حياة الجماعة بناءً على وجود مصالح مشتركة، لقد شكّلت النّظرية المثالية مقتربا قانونيا ذي صبغة أخلاقية ، كان هدفه الأساسي هو العمل على بناءً عالم بدون النزاعات، كما ركزت النّظرية المثالية في أدبياتها على مفهوم الحكومة العالمية وعلى القانون الدّولي، والـــدّور الذي يمكن أن تلعبه الدولية، وفي إطار العلاقات الدولية لم تركز المثالية على مفهومي الدولة والنظام الدولي بقدر ما اتجهت فرضياتها ومقترحاتها نحو مفاهيم الفـرد والرأي العام والبشرية.

فالقضية السياسية والأخلاقيـة الأساسية التي اعتبرت المدرسة المثالية أنها تواجهها، كانت قضية الفجوة القائمة في العلاقات الدولية بين الواقع المتمثل في الحرب العالمية الأولى وبين الطموح في بناء عالم أفضل.

ويتمثل التيار المثالي في دراسة القانون الدولي والمنظمات الدولية بغية القضاء على النزاعات وإقامة تنظيم دولي لخدمة السلم ودعم التفاهم الدولي كما كان يهدف إلى تقديم نظرية معيارية لتحريم الحرب (5)

المطلب الثّانـي ـ أهم منظـــري المدرسة المثالية:

تُعتبر جـذور المدرسة المثالية إلى الفلسفة القديمة التي سعت إلى إقامة الحياة الفاضلة، في المجتمع الإنساني، فمن الجمهورية " لأفلاطـون إلى اتلانتس الجديدة" لفرنسيس بيكون، إلى الأفكار الاشتراكية الحديثة التي بشّـــرت بمواجهة الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي على يد مفكرين اشتراكيين أمثال : سـان ســيمون وتشارلز فوريه وروبرت أوبن... الخ وترتبط فكرة الاشتراكية بـ: "اليوتوبيا" التي تُعــبر عن الرغبة في تأسيس حياة اجتماعية مثالية خالية من الظلم و العنف ، واليوتوبيا" مصطلح انكليزي ظهر في مطلع القـرن السادس عشـــر، وأوّل من استخدمه توماس مـور في عام 1516م تدليلاً على الرغبة فـي التوصل إلى مجتمع مثالي ، غير أن هذه الأفكار الفلسفية لم تُطـــرح وسائل سياسية لتحويلها إلى واقع معاش، فبقيت في إطار التمنيات والمثل العليا(7) ، ودعت الأديان إلى التعايش السلمي بين البشر بالمحبة والتسامح والتعاون الإنساني غير أنها تركت للعقل البشري مهمة تنظيم العلاقات وبين الأفراد والجماعات توخيا للسعادة والاستقرار العام، وتحقيقا للسلم بين بني الإنسان. وكما يمكن ملاحظة عددا من القادة والسياسيين الذين انطلقوا من تعاليم دينية لتوطيد

حكمهم خلال مراحل متعاقبة من التاريخ، كما حاولوا إشاعة جو من الأمن والسلم مع البلاد المجاورة ، كما طرحت الدولة البابوية في الفاتيكان مبادئ عامة إنسانية حيال الأزمات الدولية في نهاية القرن العشرين، وقام "البابا يوحنا بولس الثاني" بسلسلة زيارات المجموعة من الدول المضطربة بحثا عن السلم والأمن وركزت المدرسة المثالية على دور الضمير الإنساني، أو الضمير العالمي، في ضبط العلاقات الدولية بواسطة وضع معايير أخلاقية، ومن المدافعين عن هذا الاتجاه الفيلسوف البريطاني جيرمي بنتام (1748م- 1833م) الذي دافـــع عن المقاييس الأخلاقية. وتبعه تلميذه جيمس ميل الذي تحدث عن أهمية الرأي العام وضرورة الاعتماد عليه (8)، ثم أخذ يبرز مصطلح الرأي العام العالمي في العلاقات، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث نلاحظ تمادى بعض المفكرين في التفاؤل من خـلال طـرح نظرية الحكومة العالمية التي تتوقع إمكانية وجود مؤسسات مركزية عالمية لها من التأثير والفاعلية ما يخولها ضبط المصالح الدولية، ومنع وقوع الحرب من هؤلاء التفاؤليين "غرينفايل كلارك و لويس سوهن" الذين وجدا في الحكومة العالمية نظاما فعالا من القانون الدولي الجبري الذي يقتصر تطبيقه على الأمور المتصلة بمنع الحرب(9) ، انطلق المدافعون عن نظرية الحكومة العالمية من مثالية تفترض انسجام المصالح بني الفرد والجماعة، وبين دولة وأخرى، ورأوا مصلحة جماعية للدول في تحقيـــق السلم العالمي والاستقرار الدولي، غير أن هذه الموجة التفاؤلية اصطدمت بصعوبات واقعية مثل عدم تقبل الدول لهذه النظرية، وصعوبة نزع السلاح التقليدي والنووي من قبل سلطة عالمية واحدة، وعدم قدرة هذه الحكومة على اتخاذ القرارات والإشراف على تنفيذها(10) ، فضلاً عن صعوبة مقارنة صيغة الحكم داخل الدولة السيدة والمستقلة مع صيغة الحكومة العالمية كما طرحها أبناء المدرسة المثالية كما استند بعض المثاليين إلى دور القانون الدولي العام في ضبط الاتصال بين الدول، وتأمين مصالحها المشتركة، والقدرة على حل النزاعات من خلال تطبيق قواعد وأحكام القانون ورأوا في القانون الدولي إطارا ملزما للدول بعد أن ارتضت قواعده.

ولا شـــك في أن ظهور القانون الدولي في بداياته الأولى منذ القرن السابع عشر أشاع جواً من التفاؤل في القدرة على تنظيم العلاقات الدولية بعد معاهدة وستفاليا عام 1648م، ومع تطـــور قواعده في القرن العشرين، والتأسيس لنظرية التنظيم الدولي مع إنشاء عصبة الأمم المتحدة ثم الأمم المتحدة كمنظمتين دوليتين، برز تيار كبير من المدافعين عن أهمية القانون الدولي في صون السلم والأمن الدوليين. خصوصا و أن

هذا القانون يتناول القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول و تحدد حقوقها وواجباتها [11]. كما تتناول هذه القواعد على سبيل المثال لا الحصر: شؤون الحرب والسلم، حل المنازعات بين الدّول، حماية السيادة الوطنية التجارة الخارجية قواعـد المعاهدات الدولية.....الخ، وعلى هذا الأساس فإن المفكر المثالي يعطي الأولوية للأخلاق في العلاقات الدولية وأن من واجب الفرد والجماعة الخضوع للقوانين والقواعد التي وضعت لخدمة الجماعة، لأن خدمة الفرد هي للجماعة في نفس الوقت في إطار انسجام المصالح.

المبحث الثانـــي ـ تطبيق نظريات المثالية:

لقد كان للنظرية المثالية في العلاقات الدولية مظاهــر طبقت بها على صعيد العلاقات الدولية فقد انشأت عصبة الأمم المتحدة في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى، مما كان عامل مساعد في سيادة هذا التيار الاخلاقي في مجال التنظير للعلاقات الدولية، وكانت تطمح الى بناء عالم افضل خالي من الحروب والنزاعات لهذا سوف اعمد الى تقسيم هذا المبحث الى مطلبين الأول أدرس فيه تطبيقات النظرية المثالية في العلاقات الدولية ، والثاني أفرده إلى أسباب فشل هذه النظرية في العلاقات الدولية التي أدت إلى ظهور النظريات الأخـــرى في العلاقات الدولية

المطلب الأول ــ تطبيق النظرية المثالية في العلاقات الدولية الممثلة في عصبة الأمم المتحدة :

المثاليـــــة تيار أخلاقي قانوني هدفه بناء عالم أفضل خال من الحروب، أي: السعي لما يجب أن يكون وتتجنب ما هو كائن، أي : العدوان والحروب بهدف خدمة الإنسانية(12) ، وتعد الفترة الزمنية التي عرفت ازدهار المدرسة المثالية من خلال استغلالها للحملة الشاملة لتبسيط السياسة الدولية وجعلها في متناول مدارك الناس ، و- أيضًا- ازدياد الشعور الشّعبي بأن الحرب قد طالت حياة الجميع ، وخاصة منها الحرب العالمية الأولى ، التي نتـــج عنها آثار جسيمة سواء كان ذلك بالنسبة للخسائر الأنفس أم الأموال، وإدراك بضرورة إيجاد وسيلة ناجعة بالتنظيم والدوام وتكون قادرة على الحيلولة دون تكرار الحروب وذلك بواسطة ما يكون لها من اختصاصات تمنع الالتجاء إلى القوة لحل المشاكل الدولية وتوفّـــر إمكانية حل هذه المشاكل بالطرق السلمية، وساند هذه الدعوة الكثير من الحركات السياسية والتجمعات الشعبية والشخصيات المهمة في الكثير من دول العالم ، ومن قاموا بالدعوة إلى ذلك البابا باندیکت الخامس عشر، في رسالته التي وجهها إلى المتحاربين في صيف1917م (13)

وقد كانت هذه الرغبة عامة لدى كثيرٍ من الدّول، كما تضمنت ذلك خطب وتصريحات كثيرة للعديد من رؤساء الدّول والحكومات، ومن هذه الإعلانات وأكثرها شهرة رسـالة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "ودرو ولسن" لمجلس النواب والشيوخ الأمريكية في 8 يناير 1917م، والتي تضمنت أربعة عشرة نقطة(14)، وقد تجسّـدت هذه المطالب بقيام عصبة الأمم كمنظمة دولية ضرورية تعمل على استقرار الأمن والسلم الدوليين(15) ، وهـذا ما كانت تهدف إليه المدرسة المثالية من خلال الحقل الأكاديمي الخاص بدراسة القانون الدولي والمنظمات الدولية وذلك على أساس خضوع الدول لقواعد القانون الدولي العام ودور القانون الدولي في ضمان وصيانة الأمن والسلام العالمي (16) ، ومن أهم وأسمى أهداف العصبة الرئيسية تتمثل في منع قيام الحرب عبر ضمان الأمن المشترك بين الدول، والحد من انتشار الأسلحة، وتسوية المنازعات الدولية عبر إجراء المفاوضات والتحكيم الدولي، كما ورد في ميثاقها ، ومن الأهداف الأخرى التي كانت عصبة الأمم قد وضعتها نصب أعينها تحسين أوضاع العمل بالنسبة للعمال، معاملة سكان الدول المنتدبة والمستعمرة بالمساواة مع السكان والموظفين الحكوميين التابعين للدول المنتدبة، مقاومة الاتجار بالبشر والمخدّرات والأسلحة والعناية بالصحة العالمية وأسرى الحرب، وحماية الأقليات العرقية في أوروبا؛ لكن يبقى الإشكال في أن ميثاق عصبة الامم لم يستطع تحريم الحرم تحريما قطعيا، فهي قد تصبح ضرورية لتنفيذ حكم صادر عن المجتمع الدولي ليسمى التفاوض أحد الشروط الضرورية للإقرار بعدالة استخدام القوة انطلاقا من مبدأ الأمن الجماعي (17)

ومع تطـوّر العصبة توسع دورها بوصفها مركز للنشاط الدولي، ويمكن ملاحظة ذلك في علاقة العصبة مع الدول غير الأعضاء، فعلى سبيل المثال عملت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشكل متزايد مع العصبة، ومع حلول النصف الثاني من سنة 1920 تعاملت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا مع العصبة على أنها تمثل تعزيزا لنشاطها الدبلوماسي، وحضر وزراء خارجية هذه الدول اجتماعات العصبة في جنيف خلال هذه الفترة. كما استخدموا آليات العصبة في محاولة حل خلافتهم وتحسين علاقتهم الخارجي، و- أيضا - وقعت مجموعة من الاتفاقيات الدولية في ظل عصبة الأمم من أجل تحقيق نظام دولي سلمي مثالي خالي من الحروب والمتمثلة في بروتوكول جنيف عام 1924 حول تسوية المنازعات بالطرق السلمية واتفاقيات لوكارنو عام 1925 حول الضمان المتبادل والمساعدات المشتركة وميثاق

بريان كيلوج عام 1928 حول تحرير الحرب، وميثاق جنيف عام 1928 حول التحكيم الإجباري.

ولاشك أن عُصبة الأمم قد أسهمت في حلّ بعض المشاكل الدولية وبالذات المشاكل الدولية البسيطة، وهي تلك المشـــاكل التي ثارت بين بعض الدّول العادية ، أي : غير الكبرى، ومثال ذلك تسوية النزاع الذي ثار بسبب مسألة فيلنا " بين لوتينيا وبولندا عام 1920م، ومسألة جزر الند بين فنلندا والسويد في عام 1921م، وكذلك تسوية النزاع البلغاري اليوناني في عام 1925م، والنزاع حول لويستا " بين كولومبيا والبيرو في عام 1935م (18)

ولقد مثل الطابع السلمي الذي أتت به عصبة الأمم لحل النزاعات الدولية نقلة نوعية في الفكر السياسي الذي كان سائدًا في أوروبا والعالم طيلة السنوات المائة السابقة على إنشائها، وكانت العصبة تفتقد لقوة مسلحة خاصة بها قادرة على إحلال السلام العالمي الذي تدعو إليه، لذا كانت تعتمد على القوة العسكرية للدول العظمى لفرض قراراتها والعقوبات الاقتصادية على الدول المخالفة لقرار ما، أو لتكوين جيش تستخدمه عند الحاجة، غير أنها لم تلجأ لهذا أغلب الأحيان لأسباب مختلفة، منها أن أعضاء العصبة كان أغلبهم من الدول العظمى التي تتعارض مصالحها مع ما تقره الأخيرة من قرارات.

المطلب الثاني ـ الصعوبات التي أنهت المثالية من خلال العصبة:

النظرية المثالية في الثلاثينات عرفت مترجحات أدّت بازدياد الفجوة بين النظرية من جهة والواقع السياسي الدولي من جهة أخرى، وهذا الأخير قد كانت من أبرز مظاهره فشل عصبة الأمم في مجالات عدة تمثلت في سلسلة الانسحابات المتوالية للدول من العصبة حيث بلغ عدد الدّول المنسحبة عشـــرون دولة، وهو ما يقرب من ثلث أعضائها ، كما فشلت - أيضا - عصبة الأمم في تسوية النزاع الذي ثار بسبب كارفوا بين إيطاليا و اليونان في عام 1923م ، ولم تسطع منع احتلال اليابان للصين في عام 1932م ، ولم تفعل شيئا لوقف احتلال ايطاليا للحبشة في عام 1936م، ولم تتمكن - أيضا - من منع ألمانيا من تمزيق دولة تشيكوسلوفاكيا في عام 1937م، وضمها لانشيلوسي في عم 1939م [19] ، و- أيضا - فقدان التضامن بين أعضاء عصبة الأمم، فقد انقسمت المواقف داخلها بين من يريد من هذه المنظمة أن تتمتع بالقوة والقدرة على مراقبة ألمانيا وإجبارها على احترام معاهدات السلم، وذلك بإنشاء قوة عسكرية تابعة لها، تكون وسيلة حقيقة للأمن الجماعي، وكانت فرنسا من

مناصري هذا التوجه (20) ، في حين عملت انكلترا وأغلبية الدول الأنجلوساكسونية على أن لا تكون عصبة الأمم قوة قهرية " تحد من سيادة الدول، فهي تريدها أن تبقى مسخرة لإرادة الدول على أن تتمع بحق الوساطة الدولية ، بمعنى : ان لها حق اللجوء إلى الضغط الأدبي على مختلف الدول في حال قيام ، أي : نزاع أو نشوب أي خصام بقصد حماية السلم(21) ، وأدّى هذا الانقسام داخل العصبة بين محبذي القوة ومؤيدي الدبلوماسية إلى أن تصبح أعمالها قاصرة على تسوية الخصومات البسيطة بحيث أن لم تتمكن من منع سياسة الاعتداء التي قامت بها الدول الديكتاتورية بلجوئها إلى القوة لتنفيذ سياستها (22) ، وقد أثبتت عصبة الأمم عجزها عن حلّ المشكلات الدولية ، وفرض هيبتها على جميع الدول دون استثناء، وعندما أخذت دول معسكر المحور تستهزئ بقراراتها ولا تأخذها بعين الاعتبار، وتستخدم العنف تجاه جيرانها من الدول والأقليات العرقية ، خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، فعلى سبيل المثال، رفع أحد اليهود واسمه "فرانز برينهايم "، شكوى إلى العصبة يتحدث فيها عن معاملة الإدارة الألمانية العنصرية له ولأبناء دينه وشعبه في سيليزيا العليا، فما كان من الألمان إلا أن أرجأوا تنفيذ القرارات المعادية لليهود وغير الآريين حتى سنة 1937م، عندما انتهت المدة التي تسمح بإشراف خبراء العصبة على وضع الأقليات في ألمانيا، فجدّدوا القوانين التي تنص على ملاحقة غير الآريين، ورفضوا تجديد إقامة الخبراء في البلاد ، وكانت حجة ألمانيا وغيرها من دول المحور للانسحاب من العصبة، حيث أن بعض البنود الواردة في ميثاق الأخيرة تنتهك سيادته.

وبعد كل هذه الأحداث بدأت بريطانيا تستبدل في سياساتها القديمة المسالمة لتتجه نحو سياسة التسلح والقوة وذلك بإعلان وزير خارجيتها أنه لا ينبغي لنا أن نتراخى في التسلح اعتمادًا على توقيعنا لاتفاقية، ميونخ " لتعود بذلك القوة الدور الأساسي في العلاقات الدولية التي كانت من نتائجها الحرب العالمية الثانية(23)

وهكذا لم يتحقق حلم بعضهم في أن تصبح العصبة شبيهة بمجلس الشيوخ الأمريكي الذي انظم لكي تطمئن الولايات الصغرى على مصالحها على قـــدم المساواة مع الولايات الكبرى(24)

وانطلاقا مما سبق نستخلص أن من أهم أسباب فشل مظاهر المدرسة المثالية في شكل عصبة الأمم هو عجزها عن تطبيق مبادئ المثالية التي تأسست عليها ثم قصورها في تطبيق كل المهام التي أنيطت بها، وقد أعزي ذلك بالأساس إلى تلك العيوب التي شابت صياغة عهدها ، فعهد العصبة كان جزءًا من معاهدة فرساي ،

وهي معاهدة صلح أساس ، فترتب على ذلك الارتباط الغضب من المعاهدة بسبب ما تضمنته من أحكام انتقامية ، وبالغضب على العصبة ، وهكذا ارتبطت العصبة بالمعاهدة قبولا ورفضا ، وهو أمر ليس من شانه إبراز ذاتية العصبة ، ومع ذلك فإن هذا العهد لم يتضمن أسباب قوة وفعالية العصبة(25) ،عادة ما شكّل التمثيل في العصبة مشكلة، وإن كان المقصد من العصبة أن تشمل جميع الأمم، إلا أن العديد من الدول لم تنضم إليها ، أو انسحبوا منها ، وكانت الولايات المتحدة من أكثر الدول الغائبة بروزاً وتأثيراً ، ليس فقط من حيث دورها في حفظ السلام العالمي ؛ ولكن الدور في تمويل العصبة و- أيضا - عدم السماح لألمانيا بالانضمام إلى العصبة مع بدايتها في يناير من عام 1920، على اعتبارها كانت الطرف المعتدي والمتسببة في الحرب العالمية الأولى ، كما استبعدت روسيا السوفيتية من العصبة في البداية، فلم تكن الشيوعية تروق للمنتصرين في الحرب العالمية الأولى ، وازداد ضعف العصبة بعد عام 1930 م، بعد أن تركت قوى مهمة العصبة كاليابان وإيطاليا.

الخاتمة:

مما تقدّم تبيّن لنا أن النظرية المثالية في العلاقات الدولية تقـــوم على مبدأ ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن وتقوم المثالية على مبدأ عدم التدخّل وعدم الاعتداء والمساواة، ويهدف أنصار النظرية المثالية إلى اقامة حكومة عالمية تحقق الأمن الجماعي وتحقق السلام الدائم ، وفي نظر المثاليين أن العالم سيصبح خالي من الحروب والنزاعات عندما تتحقق هذه الأهداف المرتبطة ببعضها .

ومن خلال بحثي هذا تمكّنت من استنتاج مجموعة من النتائج الايجابية والسلبية لهذه النظرية تمثلت في الآتي:

النواحي الايجابية التي تضمنتها المدرسة المثالية:

1. المثالية ذو تيارين أخلاقي وقانوني.
2. أطلق على هذا التيار المثالي وصف، غائي وعقلاني وطوباوي بحيث:

غائي: لأنه يسعى الى تحقيق هدف السلم المطلق ، وانشغاله بهذا الهدف يفوق اهتمامه بفهم الوقائع.

- عقلاني : لأنه يطلب بنزع السلاح كوسيلة لبلوغ السلام.
- طوباوي : لأنه يطمح الى تحقيق سلام شامل واقامة حكومة عالمية تقرر للجميع.

3 هدف التيار المثالي: بناء عالم أفضل خال من الحروب ، أي : السعي نحو ما يجب أن يكون وشجب ما هو كائن أي العدوان والحروب.

4. بالإضافة الى الهدف السابق فهو يهدف ايضا الى خدمة الإنسانية.

النواحي الســـــلبية:

1. لم تستطع المدرسة المثالية فهم وتحديد الدوافع التي تحرك الدول نحو العدوان والحرب.

2. اعتبرت هذه المدرسة أن النزاعات الدولية التي نشبت أثناء فترة ما بين الحربين العالمتين نتجت عن قوى الشر بوجود حكام معادين للأسلوب الديموقراطي.

3- اعتمدت النظرية المثالية مقاييس الخطأ والصواب في إطار من القيم الأدبية والاخلاقية التي لا تعكس الاوضاع الحقيقية للمجتمع الدولي، هذا الاخير لازال بدوره يعلق أهمية كبرى على القوة كأداة تخدم سياسات ومصالح الدول واهدافها القومية.

وانطلاقا من مجموع ما سبق يتبين لنا الأسباب المباشرة لتراجع المنهج المثالي في السياسات الدولية تجمل في:

1. التداعيات الدولية للحربين العالميتين وسوء ربطها بين الأنظمة الديمقراطية الغربية وتحقيق السلم والأمن الدوليين.

2. القيم المثالية والأخلاقيات التي نادى بها المثاليون كانت كعملة كاسدة في زمن تسيطر فيه المصلحة الخاصة فوق المصلحة الانسانية عبر وسائل تخريبية ذات تداعيات دموية كالحرب.

3. فشل الفرضيات المثالية في فهم العوامل المؤثرة في تحديد سلوكيات الدول ذات المصالح الاستعمارية.

4. النقص الحاصل في بنية المدرسة المثالية هو ما دفع ببعض المنظرين الى خلق منهج جديد تمثل في المدرسة الواقعية، فنشوء هذه الاخيرة جاءت لتدريس ما هو قائم في العلاقات الدولية لا ما يجب ان تكون عليه العلاقات.

الهوامـــــــــــــش :

[1] د. عدنان السيد حين دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مطبعة سيكو بيروت، ص 45.
[2]د علاء أبو عامر ، الظاهرة والعلم - الدبلوماسية والاستراتيجية"، طبعة أولى 2002 نشر مكتبة آفاق غزة فلسطين ، ص 168-169.
[3] ناصيف يوسف حتي النظرية في العلاقات الدولية دار الكتاب العربي بيروت 1985- ص 20
[4] ناصيف يوسف حتي : النظرية في العلاقات الدولية دار الكتاب العربي، الطبعة الاولى، بيروت 1985 ص. 22
[5] د عمر بوزيان العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 20
[12] جندلي عبد الناصر، النظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية دار الخلدونية، الجزائر ، ط 1 ، 2007، ص 120-121.
[13] الدكتور عدنان السيد حسين نظرية العلاقات الدولية" م.س ص
[14] ناصيف حتي، م. س. ص[20]
[15] جندلي عبد الناصر، النظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية دار الخلدونية ، الجزائر ، ط 1 ، 2007، ص 122-123.
[16] اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية (الكويت : منشورات ذات السلاسل، 1987) ، ص394
[17] علي صادق أبو هيف القانون الدولي العام الاسكندرية: منشأة المعارف، 1975) ، ص18
[18] ناصيف يوسف حتي النظري في العلاقات الدولية ، ، دار الكتاب العربي بيروت - 1985 ، ص 20
[19] الدكتور ابراهيم احمد شلبي، التنظيم الدولي : دراسة في النظرية العامة والمنظمات الدولية ، طبعة 1984م الدار الجامعية ص 115
[20] الموقع الإلكتروني www.wikipedia.com
[21] الدكتور محمد منذر، مرجع سابق ص 7
[22] المرجع السابق ص 7
[23] نفس المرجع السابق ص 7.
[24] عائشة واسمين، القانون الدولي العام مصادره أشخاصه مجالات تطبيقه، الطبعة الأولى 2005، مطبعة النجاح الجديدة ، ص 27
[25] الدكتور ابراهيم احمد شلبي ، مرجع سابق، ص 136
[26] د ابراهيم أحمد شلبي ، م س ص 136
[27] د محمد منذر، م س، ص 8
[28] نفس المرجع، مننفس ص
[29] محمد منذر م، س ص 8
[30] نفس م س، ص 8
[31]د ابراهيم أحمد شلبي م س، ص 136
[32] د ابراهيم شلبي ، م س ص 137